كتاب

الصوت وماهيته والفرق بين ض و ظ وما
ض يلحق بذا اللفظ من الفوائد

لمؤلفه

محمد رضا بن الهادي آل كاشف الغطاء

قدس سره

يشتمل على أصح الآراء في الفرق بين هذين الحرفين في
قسمه التمهيدي العلمي على نظريات في الصوت وغيرها
للمؤلف لم يسبق إليها

يقول لنا هذا الكتاب مصرحاً ... عن الحق قولاً ناصعاً لن يفندا
دعوا كل صوت بعد صوتي فإنني ... أنا الصائت المحكي والآخر الصدى

١٣٤٧

خلاصة محتويات الكتاب

عدد ١٤ تقرير الوصل في المسئله ووسوسة بعض الجهال

١٥ نظرة في اللغه العربيه وجيزة مباحث عن اصل اللغات وتشعبها وازدياد نموها في سلم ارتقائها واصل اللغه العربيه وتقدمها على السريانيه والعبرانيه وبعض مزاياها وانقساماتها وطول عمرها وسعتها وان الحروف الهجائيه اكثر من ثمانيه وعشرون خلاف المعروف

تنبيه

ينقسم الكتاب الى قسمين

الاول تمهيدي علمي في فلسفة الصوت

الثاني نظري استنتاجي في الفرق بين الحرفين (ض ظ) وفيما يلحق بذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كثيرا والصلوة على محمد وآله افصح من نطق بالضاد (١) هاديًا ومبشرًا ونذيرا

وبعد فهذا ما اوصلني اليه البحث من جواب مسائل سألني بها بعض اذكياء طلبة

العلم وهذه نصها ما يقول [illegible] العلامة دام فضله

في الفارق المعتبر شرعا بين الضاد والظاء الذي يوجب الاخلال به فساد القراءة شرعا ؟

ومن اين نشأ الالتباس بينهما ؟ وكيف ضبطوا بعض الكلمات بالضاد وبعضها بالظاء ؟

ولماذا اختلف الاصوات في الكيفيات فتكونت الحروف والكلمات وتعددت

اللهجات واللغات ؟ وما هو الصوت وما حقيقته ؟

شرفونا بجواب مفصل يكشف عن وجه الحقيقة ستاره ويميط عنه خماره ويغوص في

اعماقها ويسري اليها في اطرافها ويعرب عن مبادئها ويفصح عن اوائلها لا زلتم موفقين

---

(١) قال ابن كثير هذا الحديث لا اصل له لكن معناه صحيح وقد فتشت عنه في كثير من الكتب من جوامع الاخبار وغيرها فلم اجده بهذه الالفاظ والذي وجدته من رواية انا افصح العرب [illegible] في شرح المختصر [illegible] حيث الاستثناء بهذه الالفاظ ولا نعلم ماخذه والظاهر ان الحديث واحد ولكن حيث [illegible] حكي عنهم بعض رواة هذا الحديث بمن نطق بالضاد [illegible] لغة بهذا الحرف [illegible] العرب

(تمهيد)

نبدأ الكلام وبه نستعين بذكر فصول نكشف بها الشبهات في
سلسلة هذه المباحث من أوائل مباديها الى نهايات غاياتها
بها نتمم آراءنا في حل هذه المسائل أجمع
وقد أنصب منها آراء الأدباء وأئمة اللغة
بحثا وتمحيصا الفرق بين الضاد والظاء، واحتاج الفقهاء
للنظرية على ما يحضرني الآن في موضعين في مباحث الصلاة وفي
كتاب الديات في دية اللسان الباقي بما أوصلنا
اليه البحث من الفرق بينهما وما نستطرده من المباحث نختم الكتاب

(ماهية الصوت)

اتفق علماء الفلسفة الطبيعية وأعلامها على نظرية سهلت عليهم تعليل الحوادث
الطبيعية ولبيانهم شاهدوها دائما ووصلتهم اليها التجارب كما انهم لم يعثروا
عليها برهانا قاطعا فيما وقفت عليه من كتب هذه الفلسفة وهي ان
دقائق الاجسام جامدة كانت او سائلة او غازية لا تزال في حالة حركة

والحركه هي اساس المظاهر الطبيعيه اجمع اما شكل تلك الحركه ومقاديرها

فشيء مجهول فربما كانت على اشكال دوائر او على اتجاهات خطوط مستقيمه

او منحنيه ذهاباً واياباً واذا كانت على اشكال دوائر فربما تكون حركتها

حول محورها او حول غيره وربما كانت حركتها مولفه من جميع ذلك وربما

كانت الاجسام تختلف نوع حركتها باختلافها وان ذلك فيها جميع على مقاييس ثابتة

وموازين لا تتحول

والمشاعر الجوابه التي اثبتها الله فينا كالعلقة وابثها في مجموعنا اذا مس جهازها والامسه

شي من هذه الحركه وصدمها ذلك الاهتزاز ادركت النفس نوعاً

من الاحساس عن طريق القوى القائمه في تلك المشاعر فنوع الاحساس

منشأه ان تلك الاهتزازات اذا كانت على درجات معلومه من السرعة ومقادير موزونة

ووقعت على الاذن شعرنا بصوت واذا وقعت على العين ابصرنا شيئاً

واذا وقعت على الاعضاء اللامسه شعرنا بالبروده او الحراره كل ذلك انما

يكون بشروط معلومه

ولا يعتورنا شك في ان الصوت يحدث عن اهتزاز الاجسام فالجسم

المهتز وهو المحدث للصوت هو المسمى بالصائت والذي يوصل تلك

الاهتزازات الى الجهاز السمعي ولا بد ان يكون جسماً مرناً وغالباً يكون هو الهواء (١)

والمراد بالمرونة انه يعود الى حالته الاصلية بعد انضغاطه ويسمى بالناقل

والجهاز الذي تشعر النفس عن طريقه بتلك الاهتزازات يسمى بالمتلقي

فالصائت والناقل والمتلقي هي محاور مباحثنا الاولية في هذا القسم من الكتاب

(الصائت)

علمت ان الصائت هو ذلك الجسم المهتز وقد يكون جسم واحد صائت وناقل كالهواء والماء وكثيراً نظراً عليهما حالات يكونان فيها مصوتين وناقلين ولا يهمنا من هذا البحث سوى ما يخص الصوت الانساني

يحدث الصوت الانساني من اهتزاز الوترين الصوتيين في الحنجرة عندما يضرب عليهما الهواء مدفوعاً من الرئة وهذان الوتران قابلان للشدة والرخي كالاوتار في ذوات الاوتار من الالات الموسيقية

فاذا كان الانسان صامتاً كانا مرتخيين ومنثنيين وفتحة المزمار بينهما واسعة فلا يصوتان بوقوع الهواء عليهما واذا اراد ان يصوت شدهما بقدر ما يريد ان يرفع الصوت فتضيق فتحة المزمار بينهما فالعضو الاساسي في التصويت هو الحنجرة غير ان

(١) نستعمل الهواء في كل ما يأتي من المباحث بمعنى الناقل لها اتباعاً لاستعماله المشهور في ذلك

هو الحنجرة عن أجواف الأنف وجوف الفم واللسان والشفتان نرى في الحنجرة في

فعلها وتساعدها فهي معدودة من مهمات جهاز التصويت ولأجل أن أوقفك

على شيء من بدائع التكوين نتوسع في بيان بنية هذا الوعاء الدالة على البديع

~~الحنجرة قسم من شريان السرى لذلك فبنيتها تشبهه من حيث الرسالة التي~~

~~النسيج الخلطي صفي غير مهدب فيها ومهدب في ذلك الشريان والنسيج العضلي محيط~~

~~غير أملس والنسيج الغضروفي ليس على هيئة حلقة~~ الحنجرة عضو شرياني مكون من أربع

صفائح وفيها أربع انعطافات تسمى الحبول الصوتية وهي الأوتار التي

تقدم ذكرها وهي موضوعة مثنى بصورة متناظرة ولذلك تتكون في

الحنجرة بسبب هذا الوضع تجويفان على شكلين مثلثين والأسفل منهما أصغر

وأضيق من الأعلى وإذا تقلصت بعض العضلات في جدران الحنجرة ازداد

ضيقا عند الحاجة ومنشأ الصوت هو الحبل الأسفل ونظيره اللذان هما

في الفتحة السفلى من الحنجرة فهذه الأنبوبة الغضروفية المعروفة بالجوزة الكائنة

على الهيئة مخروط قاعدته إلى الأعلى نحو اللسان وعلى

شكل مثلث منفرج ذو الموتلفة من قطع غضروفية متصلة بعضها ببعض

وباللسان والفك يكون في تجويفها أربع ثنيات غشائية على كل جانب

منها تجيبان . وهذه الثنيات هي التي تسمى الحبول والاوتار الصوتية . وفتحة المزمار هي الفتحة التي بين الاوتار . والتجويف بين الوترين العلويين والسفليين يسمى بطين الحنجرة . وللمزمار قطعة غضروف خلف اللسان تشبه ورقة النبات تسمى لسان المزمار وهي كمصراع يمنع مرور الطعام الى قناة الهواء اي القصبة . وتساعد الحنجرة في احداث الصوت الجدران المحاطة في اجواف الانف وجوف الفم فانها يحدث فيها بعض الاهتزازات المرافقة لاهتزاز الاوتار ولذلك تشتد الاصوات الحاصلة في الحنجرة ومن اجل ذلك تؤثر بعض الامراض التي تطرأ على اجواف الانف والفم وطرق التنفس تأثيراً بيناً في الصوت .

وغضاريف الحنجرة اربعة لها اسماء معروفة في كتب التشريح وترتبط وتتحول بعضها على بعض برباطات وعضلات . وينقسم تجويفها الى طبقتين الواحدة فوق الاخرى بواسطة غشائين ممتدين من كل من الجانبين ولا يتصلان في الوسط بل يبقى بينهما شق ضيق . ويقال لجانبيهما اللذان يليان هذا الشق من نسيج مرن ويسميان الوترين الصوتيين الصحيحين والحاجز الكاذبين اللذان فوقهما فانهما لا يصوتان . ويمتد الشق بينهما من مقدم تجويف الحنجرة الى مؤخره وهو فتحة المزمار

فصيحة مصرحة

دهو فتحة المزمار فهذا وصف وخريطة نشرحه لهذا الجهاز البديع تغنيك عن مدية المشرح ومبضع الكشرح

وهذه الآلة البسيطة الالهية التي لا يمكن تقليدها تقوم بوصيفتي ذوات الاوتار والآلات النفخ من الادوات الموسيقيه فان ادوات الموسيقى كما هو معروف في ذلك الفن تنقسم الى هذين القسمين وقد شبهها الفسيولوجيون بالآلة موسيقيه من هذا النمط أي وترية نفخيه وصف اداء الاعضاء الصوتيه ووصفها كما تعجز الصناعه مهما ساعدها الذكاء البشري ان تقلد جهاز الصوت الجميل البديع (١) الذي يصنع كل نوع من الاصوات من اللحن الجهوري غير المطرب الى الصوت الرخيم الحلو الشبيه بصرصرة الصافر وما بينهما من الاصوات

---

(١) ورد احدى الجرائد ان شركة الادوات الطبيه الجراحيه في نيويورك انها اخترعت تلك الشركه جهازاً يتمكن بواسطته البكم من التكلم وقد بلغت هذه الشركه اختراعها حد الكمال وهذا الجهاز ليس سوى حنجره صناعيه كامله لها اوتار المنطق والتلفظ وتوضع من الخارج تطلب كلام الانسان ونطقه بصورتهما الطبيعيتين وذلك بفضل اشتماله على اوتار ملفوفه بانسجه تخرج الصوت بنبراته الطبيعيه وتتصل بانبوب من المطاط داخل في شق قصبه الرئه ولا بد لمن يريد استعمال هذه الحنجره الصناعيه من ان يزيل حنجرته الطبيعيه لتحل محلها الحنجره الصناعيه بواسطه عمليه جراحيه بسيطه لتسهيل التنفس على مستعمل الحنجره الصناعيه

وعند التصويت يفضى كل عضو من الاعضاء المذكوره وظيفة فمهمه تجويف الصدر والقصبه والحجره والانف والفم بل والحلق والبلعوم كل واحد منها يقوم بدوره بوظيفه في التصويت وهي مثل آلات النفخ وكذلك تشارك ذوات الاوتار فتجويف الصدر يتسع ويضيق بالتنفس فتضغط الرئه تارة وتتمدد اخرى ومتى ضغطت خرج الهواء منها واذا تمددت دخل اليها فيكون هو والرئه بمنزلة المنفاخ في الاولى وعند الخروج من الهواء الرئه يندفع الى القصبه ويحفظ القضاريف بهيئة الحجره ومثانتها وتغير الحضاريف اتساع فرجة المزمار ومن القصبه يضرب الهواء وترى الحجره المصيبي فيهتزان ويحدث هذا الاهتزاز صوتات يتنوع بواسطة اللسان والاسنان والشفتين ويتنوع الصوت حجم الحجره وسعة الرئتين وحالتها وحالة الحلق والجريان الانفيان وارتفاع الذقن واللسان وانخفاضها واختلاف حالة الاوتار في كثرة الذبذبات وقلتها وتقوم الحجره بوظيفه اخرى غير توليد الصوت وهي نقل الهواء الى الرئتين وبتغير الصوت في كل الاحوال التي تعاقبها حركة الاوتار او تقصيرها او توترها فتحدث البحه او خشونة الصوت فالالتهاب الحجري البسيط والاورام التي تنمو في الاحبال الصوتيه والتصاق الحبل وعدم حركته من اسباب البحه والخشونه ويكون الصوت صريرًا عاليا اذا توتر الحبل ويكون

ممن نقل اليهما الشيخ ودام الزاهد العابد المعروف وهو من آل مالك ايضا فانه ابن الحاج
فرج بن عيسى بن ابي النجم المتقدم والمرحوم له الشيخ حسن معه وفا عند ربه غطه ونواحيها
بالمرحوم آل مالك حتى ظهر من كاشف الغطاء والشيخ مرود وغيرهم وملاذ البقاء وعجائب
فالشيخ من اتبعه جده والشيخ كرابه جده مو استغنى بشرف ومجد ابعد ما كان
ذلك مشهورا عندهم متواتر الايام وكانت الشعراء تذكر ذلك في مدائحهم ومدائح بيته
فمن ذلك ما قاله الشيخ صالح التميمي من اهل الحلة يمدح الشيخ محمد بن الشيخ الاكبر ويعزيه
بالمرحوم من شيوخ آل مالك ورؤسائهم الذين كانوا في البغداد وسنأتي بقصيدة
في محلها ومحل الشاهد منها قوله

* وأي درة بيضاء في آل مالك * نضى الغواص البحار وكوكب *

ثم قال بعد ابيات كثيرة

* وأي نزار وفي بها القرابة * نضتها اصلا لخير نجيب *

وقال السيد الحبر والعالم البصير السيد صادق الفحام الذي كان من العلماء الاعلام
والشعراء العظام وهو من اساتيذ شيخنا الاكبر كما في روضات الجنات في ترجمة
الشيخ ومن اي عديدة في هذه الطائفة فمن ذلك قصيدة التي يرثي بها الشيخ حسين
بن الشيخ خضر وكان اكبر من اخيه الشيخ جعفر وتوفي في زمانه كما سيأتي قريبا ثم مع
القصيدة بتمامها ومحل الشاهد منها قوله يخاطب الشيخ حسين ويندبه ...

* يا منتمي فخرا الى مالك * ما مالكي لا الشرف المعتلي *

واضنك بعد هذا لا تحتاج الى شاهد لما تعلم عظم هذا البيت لما جئت فكلامي
يكفيك في هذا المقام والحاصل ان تحقيق ذلك يطول ولا يحتاج الى براهين مسلمة

(الناقل)

جميع المواد المرنه ناقلة للصوت غازية كانت او سائله او جامده فاذا غاص غائص في البحر وقرع له جرس على بعد في الماء سمع صوته ومن لصق اذنه على الارض في حالة السكون يسمع وقع الاقدام عن بعد والماء وان كان اكثف من الهواء الا ان مرونته اعظم من مرونة الهواء ولهذا كانت سرعته في الماء اكثر من اربعة اضعاف سرعته في الهواء، واما اذا تكلمنا فلا ينتقل الهواء من الفم الى اذن السامع وانما يكثف به الهواء المباشر لفمنا ولهذا يكثف ما حوله فتحدث من ذلك امواج صوتية متعددة تنتقل حتى تقع على اذن السامع

وحيث ان الهواء اكثر الموصلات استعمالا لنا ولاكثر الحيوانات البرية والطائرة

(الحيوانات المائية كالاسماك ونحوها فالاصوات لها يمكن ان يكون متنقلها من الماء)

فلا بأس هنا البحث عن احد خواص النواقل الصوتية ولاعن معدل سرعة الصوت ولا عن ما يعتري الصوت من الشده والعلو وغير ذلك ونخص الكلام بالهواء،

قد علمت ان كل جسم مرن فهو ناقل للصوت بواسطة تموج دقائقه واهتزازها

× ويجب ان يكون جميع مصادر الصوت في حالة اهتزازية وتنقل الاصوات عادة الى اذاننا بمجرد تموجية الهواء

واهتزازها ومن كل اهتزازة تحدث موجة صوتية فهذه الموجه مولفة من هواء متكاثف وهواء متلطف وينزل الهواء المتكاثف منزله راس الموجه المائيه والهواء المتلطف منزله المطمئن من الموجه المائيه وهكذا تتسع من تكاثف الى تكاثف ومن تلطف الى تلطف فاذا اطلق من مدفع شحنة بارود يتولد منه غاز يحدث تجاهه كرة مجوفة محيطها هواء متكاثف وباطنها فارغ ثم يملأ ذلك الفراغ من ذلك الهواء المرتد بذلك الهواء في حالة تلطف وهذه الكره تحدث كرة ثانية اكبر من الاولى وهكذا تحدث على التوالي كرات متكاثفه فمتلطفه حتى تزول كل الحادثة منها قوى الحركة والفرق بين موجات الماء والهواء ان دقائق الماء تتحرك سمتيا اي طالعا ونازلا ودقائق الهواء تتحرك افقيا اي انها تتقدم وتتأخر في جهة التموج ولا ترتفع ولا تهبط وشدة الصوت تتوقف على سعة الاهتزازات ولطافة الهواء وكثافته ففي اعماق المناجم تشتد الصوت وتعلو وفي رؤس الجبال الشاهقة يضعف ~~[illegible]~~

~~على لطافة الهواء وكثافته~~ والحراره تقلل ~~كثافته~~ من كثافة الهواء فكلما زادت الحرارة درجه زادت السرعة قدما وتتساوى الاصوات في السرعة اذا كان الموصل واحدا وسرعة الصوت في الثانيه ١٠٩٠ قدم اذا كانت الحراره بدرجة (٣٢) ف تقريبا

وقد دلت التجارب على ان [illegible] الموجوده في الموجه الصوتيه [illegible]

والنسبة التركيبيه الكيماويه في الهواء لها مدخل عظيم في سرعة الاهتزازات فيه وتختلف بمقدار ما يختلف الهواء من حيث احتوائه على غاز الكربون للتشابه في الغازات والغازات أنفسها هي من جملة النواقل الموصله وتختلف سرعة الصوت فيها باختلاف كثافتها ومرونتها

وتنحرف الموجات الصوتيه عن استقامتها الى الجهات الانسيه فتتقارب اذا اختلفت السطوح المواجهة للاهتزازات الصوتيه من واسع لضيق كما انها تتباعد الى الجهات الوحشيه اذا انفذت من ضيق لواسع كل ذلك على نسبة سطح الموصل الثاني فالثالث وهكذا بمقدار ائتلاف الموصل واختلافه بالمرونه وهذا هو انكسار الصوت عندهم وقد Resonance الرجيع استندوا على هذا في الانحراف الى الجهات الوحشيه فان هذا داخل في الانكسار واذا رجعت الموجه الصوتيه للافراجسام لا يكون موصلا لها غير مرن رجعت وبعد رجوعها تنقعر بحدب قوس الدائره عند نقطة الوقوع ولو لم يعرض لها هذا العارض تتسع حتى تمحي ونقطة الوقوع هي مركز الدائره المنعكسه وهذا هو الهاء الانعكاس الصوتي وكلما تعدد الانعكاس ضعف الصوت عند النقطه المواجهه للجسم الصائت خارج نقاط الانعكاس واذا قرب سطح

ان الصوت ينعكس مرات متعددة [illegible]

٥ واذا قرب سطح الجسم العاكس من الصائت اشتد الصوت فاذا تعدد الصائت والسطوح العاكسة تتقاطع دوائر كثيرة من الامواج الصوتية وتنعكس هكذا مشوشة وفي تلك الاحوال تشوه دوي صوتي او ما نسميه لغطا كما انه بواسطة قرب الجسم العاكس قد تغلت من خطوط الموجات الصوتية قطعات عن منافذ مراكز الاحساس الصوتي فلا تحوي الاصوات كاملة والكيفية الصوتية اهتزازة في الجسم الرن تترتب على انحاء خاصة من الخطوط وما لم تصطدم بمراكز الاحساس بكيفيتها الخاصة لا نشعر بتلك الكيفية الصوتية كما هي بل نسمع دويا ومشوشة واما اذا بعد الجسم العاكس على مقدار معين وانعكس الصوت فذلك هو الصدى ويكون الصدى بين سطحين او سطوح متوازية مرات متعددة .

ومن النظريات والتجارب التي قدمناها يتضح ان الانسان لا يسمع صوته كما يسمعه غيره فان الغير يسمع صوته بواسطة وصول الاهتزازات الى مركز احساسه من خارج واما هو فيسمع صوته من داخل اما بواسطة موجات الغازات التي في جوفه الموصلة الى مراكز احساسه السمعي وبواسطة محتويات جسمه من عضلات وغضاريف وسوائل فتهتز ويصل الاهتزاز الى المركز السمعي

واني لا ازال في شك من القضية المعروفة من ان الموجات الصوتية تحدث على شبه كرات ومن الجائز ان تكون مختلفة الاشكال فمنها ما يكون بشكل دائرة ومنها ما يكون بشكل خطوط منحنية ومنها ما تكون مستقيمة وقد تكون في حالة تداخل وتقاطع ولو كانت كلها دوائر لا تحدث الاصوات ورأي ان دقائق الهواء كدقائق الرمل المهتز التي اكتشف اشكالها الاستاذ كلادني في حال تموجه

ص ١٧

× حدود التلقي السمعي

ان مسمع متوسط الناس يستطيع ان يسمع اهتزازا الى حد (٢٠) الف [illegible]

[illegible]

اقل حد للسمع [illegible] كلما حد [illegible]

وليس من [illegible] وجود مشخص [illegible]

لا يقدر ان يسمع صوتا [illegible] عالية [illegible]

منه [illegible] ان يسمعه [illegible] الاذن ادراكها [illegible] تردد سمعي ،

(المتلقي)

حجج واشراط ودلائل وسمات وشواهد وامارات ابتدعها واخترعها أنشأها
نطأطأ رؤوسنا امامها خاشعين مهطعين استبدها ونعود واسأل نؤها
ونوحد بديع ؟ وجميل ؟ ومدهش ؟ هذا الجهاز الذي نصفه
تلك القدرة الغير المتناهية من مواد ميسره في مقادير موجزة مقدره فهو
عنده الوسائل وتتقاصر عنه الذرائع وتفشل دونه الصنائع
نعني (بالمتلقي) هذا الجهاز السمعي من بواديه الى اعماقه ومن غاياته الى تخومه ومن
ظواهره الى خفاياه ولنبحث عن اعداه كالصحيفة في الآلة الكاتبة التي ترتسم
عليها الاهتزازات الصوتية بواسطة الابرة الكاتبة وسنذكر للقارئ
موجزا من وصفه و وظيفته

(السامعه اعضاؤها . وظائفها)

(ear)
نتلقى الاصوات ونشعر بها بواسطة السامعه وهي من اكثر الاعضاء تركيباً في جسم الانسان
inner ear middle ear outer ear
وهي مؤلفة من ثلاثة اقسام الخارجي والمتوسط والداخلي وللقسمان
الخارجي والمتوسط وظيفتهما جمع الاهتزازات الصوتية ونقلها الى القسم
الداخلي الحساس
eardrum canal
فاما القسم الخارجي فيتألف من الصيوان والصماخ والصيوان طبقة غضروفية
منغضنة تغضوناً غير منتظمة مستورة بطبقة من الالياف العضلية والجلد

والجلد ويمتد منه أنبوبة تدعى نافذة في عظام الرأس في جدرانها غدد مشابهة نوعا للغدد الدهنية
مقفلة من جهتها الرئيسية بالهواء وفي نهايتها الداخلية غشاء شغاف وهذا الغشاء
مع الشعر والرمص المادة الموجودين فيها يمنع دخول كثير من الحيوانات فإذا أدنى حركة هناك تشوش
السمع والرمص مانع من ذلك وهذه الأنبوبة تسمى بالصماخ والغشاء بالطبل drum
وأما القسم المتوسط وصلنا الى الغشاء وهذا الغشاء (tympanum) يفصل بين القسم المتوسط والخارجي
كما انه يفصل بينه وبين القسم الداخلي نافذتان مسدودتان بغشاء وتعرف هاتان النافذتان
بالكوة البيضية والكوة المستديرة وما بين الغشائين صندوق الطبل وتوجد في هذا القسم
أربع عظيمات هي أجل عظام وأصغرها في جسم الإنسان مرتبة على هيئة سلسلة وترتبط ببعضها بأربطة عضلية
على هيئة خط منكسر يصل بين غشاء الطبل والكوة البيضية وهي حسب أشكالها تسمى المطرقة
والسندان والعظم العدسي والركاب وفي هذا الصندوق أنبوبة ممتدة الى مؤخر البلعوم
وهي مغلوقة الدوام تنفتح في أثناء البلع بسبب الضغط الحادث من حركاته وبهذا الانفتاح
يحصل التواصل والتوازن بين الهواء المحصور في الصندوق والهواء الخارجي وإذا انسدت هذه الأنبوبة دائما
ثقل السمع وكذا إذا انفتحت دائما

وأما القسم الداخلي وهو المسمى بالتيه فهو البديع الأعجوبة والمعجزة السماوية يتألف من مجار في
عظام القحف تشتمل على بعض أكياس غشائية وقنوات ولهذه المجاري والقنوات أو حاجات
كثيرة جدا ولا تعرف فائدة كل أجزاء هذا القسم وهو القسم الضروري للسمع ويمكن إزالة ما عداه
من الأقسام مع بقاء حاسة السمع وكما علمت في داخل هذا القسم الأقنية الغشائية وهي التيه
الغشائي وهذا باعتبار شكله العام يشبه التيه العظمي تمام الشبه وكل من هذين التيهين
يتألف من ثلاثة أقسام هي الحلزون والدهليز والقنوات الهلالية والحلزون أنبوب ملتو

حول محور مرتين ونصفا على الشبه قوقعه الحلزون والقنوات الهلاليه ثلاث واحده افقيه واثنان شاقوليتان واحدى الشاقوليتين موازيه للسطح الناظرى للبدن والثانيه عمود على الاولى والدهليز يوصل القسم المتوسط بواسطه الكوتين البيضيه والمستديره بالقنوات الهلاليه والحلزون وفي داخل الشبه الغشائى وبين الشبهين توجد سوائل وعصب السمع منتشرة متشعبة فى هذا القسم الداخلى واهم اشد انتشارا فى المواد المحاطه على سطح الشبه الغشائى وفي نهايه كل ليف عصبى من ذلك العصب المنتشر مصورتان محافظتان محيطتان وتتصل بمطاط طويله ذات احساس سمعي والنهايات العصبيه فى الحلزون اكثر نظاما وازيد اعضاء مما فى غيره من الاقسام وتلك النهايات للالياف والحويطات والحويطات العصبيه تلاقي تلك السوائل المخزونه فى تلك التجاويف ثم ان عرض الاك الغشاء الحلزوني ليس متساويا فى كافه انحائه وكلما قربنا من الذروه يقل عرضه واذا ما كشفنا عن هذا الغشاء نرى الياقه على هيئه اسلاك المعزف واوتاره ويقال ان الياف الغشاء المخطط فى كل اذن (٦٠٠٠) ليف هذه نبذه مجمله بسيطه من بيان الاجزاء التى تتالف السامعه

(بيان وظيفه السامعه)

بواسطه الاذن نشعر بتموجات الهواء الحاصله من ارتجاج الاجسام وهذه التموجات هى التى تسبب الاصوات فالاذن الظاهره تجمع الاصوات على غشاء الطبله بواسطه الانبوبه التى توصل القسم الخارجى من الاذن بالقسم المتوسط وينفعل غشاء الطبله بتموجات الهواء ويوصلها الى العظيمات ويخفف شده الاصوات ايضا والقسم المتوسط يوصل الارتجاجات الحاصله فى

غشاء الطبلة من تموجات الهواء الى القسم الداخلي ويتم هذا بواسطة المنضمي في تجويفها وسلسلة العظيمات الممتدة من غشاء الطبلة الى كوة الدهليز البيضية والقسم الداخلي مملوء نجا وفيه سيالوما بنا تنتهي اليه خويطات العصب السمعي والتي توصل الاصوات الى الدماغ

والخلاصة ان الصوت يمسك بالموجة الهوائية وتنطلق منه مادة بالانبوبة الى غشاء الطبلة وتمر بسلسلة العظيمات الى الدهليز والقنوات الهلالية وعصب السمع فاهتزاز الجسم الصائت المنتشر بواسطة تموجات الهواء الواصل الى الصيوان الاذن ينعكس في تعاريج الصيوان وبعد نفوذه في الصماخ ووصوله للغشاء يؤول الى ارتجاج هذا الغشاء وارتجاجه يسري الى الغشاء الثاني فيرتج واذا ارتج تموجت السوائل التي في التيه

والتموجات الصوتية قد تصل المراكز الاحساس السمعي بغير هذا الطريق فان الجدران العظمية للقسم الخارجي والداخلي فاذا اتصلت التموجات الصوتية الى سوائل التيه عن اي طريق اثرت على العصب السمعية ومنها المراكز الاحساس ويقال ان النوع الخاص للتموج الصوتي ودرجة الصوت وقيمته الموسيقية انما تدرك بواسطة الالياف التي يتألف منها الغشاء المخطط الحلزوني في مراحل ان طولها يتناقص نحو الذروة فيكون كل خيط منها بمثابة سلك اوتر مهيأ للتأثر من صوت خاص فلا يتأثر كل واحد منها الا بنوع خاص من الصوت هذا ما ادركه العلم الحديث في هذه البديعة السماوية وهناك غايات يمكن ان نصلها في المستقبل

(الحافات)

(٢) المظنون ان الاهتزاز ينتقل من السائل الى العصب رأساً بل الى الخيوط الشعرية فيهتز ويهيج القريبات العصبية المتصلة بها والى الكتل الزلالية فيهتز وتضغط القريبات العصبية المتصلة بها ضغطاً منقطعاً كاهتزازها والارجح ان الغرض من هذه الكتل اطالة الاصوات السريعة الزوال التي تنسى لولاها

(٣) ذكرنا ان الانبوبة التي تصل صندوق الطبل بالبلعوم المسماة (بوق اوستاكيوس) مسدودة على الغالب وبذلك ينقطع الهواء الخارجي عن الهواء الداخلي فاذا انفتح ان ضغط هوائها قل عن ضغط الهواء الخارجي تألم من ضغط الهواء الخارجي ولا يهتز الغشاء الطبلي الاهتزاز التام فلذلك يثقل السمع وبحركة الازدراد يدخل فتزداد الموازنة ويقال ان الارشادات العسكرية تنصح رجال الفرق المدفعية بفتح افواههم عند اطلاق المدافع

(٣) من عجائب الاذن انها تميز الاصوات فتحللها وترد كلا الى اصله ولو وردت عليها من موارد مختلفة غير متشابهة فلو عزف بالف معزف فالاذن تؤدي كل منها الى النفس وتميز بعضها عن بعض وتطرب لكل منها بما يوثر عليها من الطرب شروط خاصة مع ان اصواتها تهز الهواء من جهات مختلفة ومتضادة وتنحصر كلها في مجرى دقيق من الهواء سعته بسعة صماخ الاذن

(٤) اناس على اختلاف شديد في سمع الاصوات العالية والواطئة وربما يسمع بعضهم ما لا يسمعه الآخر ويتفق كثيراً ان شخصين صحيحي السمع بحسب الظاهر

الظاهر تغلق أحدهما من أوطأ الأصوات ولا نشعر بالآخر وعدم سمعنا للأصوات
ليس دليلاً على عدم وجودها ومن المحتمل أن توجد في الأرض أو في السماء أصوات كثيرة
لا نشعر بها ولو تنبهت فينا حاسة السمع أكثر مما هي عليه فربما سمعنا أصواتاً
لا تخطر على بالنا وهذا ما أشارت إليه روايات الأئمة الهداة أن في
السماء جنداً لا تسمعون تسابيحهم وقال الله تعالى تسبح له السموات السبع
والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الآية
وفي العدول عن لا تسمعون إلى قوله لا تفقهون نكتة غامضة وسر مصون
يدرك من ورائها العارف المتبحر الراسخ في العلم ذلك المعنى الذي ألمعنا إليه
من عجز الجهاز السمعي عن الإحساس بتلك التسابيح وقصوره في درجة
التكوين عن إدراكها

(كيف تتكون الحروف والحركات والألفاظ)

إن الحروف الهجائية في كل لغة تنشأ من الأحوال التي تطرأ على الصوت أثناء وروده
في الأعضاء السالفة الذكر ويتنوع اللفظ بحسب حركاتها الإرادية من فتح الفم ومد
الشفتين أو قصرهما وإبعاد فتحة الفم من الحنجرة وتقريبها إليها في أثناء التلفظ
وحركة الفك الأسفل واللسان وشراع الحنك والخدود وبصور مختلفة
ومن ذلك يتغير شكل جوف الفم في فتحتيه الأمامية والخلفية ومن حركات هذه
الأبدال تتغير نغمات الصوت الإرادي وبذلك فنحس بنوع خاص من الصوت

فالاصوات تتنوع نغماتها الى ما نسميه حرفاً والنغمات تختلف بذاتها الى ما نسميه حركة
من تطورات اجواف الفم بصور مختلفة خلال التصويت
فاذا انسد طريق خروج الهواء بواسطة اللسان او الشفتين اما في بداية الصوت
او في نهايته فلا شك ان هذا الانسداد يسبب نغمة خاصة هي احدى الاصوات
الحائية وكلما انقطع خروجه وحيل دون خروجه على مجراه الطبيعي بسد احد مخارجه
او تضييقه لحصول بعض العوارض في جوف الفم ينتج ذلك حرفاً خاصاً فاذا
تماس اللسان مع الاسنان او مع قبة الحنك تولد صوت الحرف (د) واذا
انطبقت الشفتان على بعضهما او على اللسان تولد (ب) واذا مس
اللسان شراع الحنك في مؤخر الفم تولد (ق) وهذه الحوائل قد ترتفع
دفعة واحدة كما في الحرف (ب) وقد ترتفع تدريجاً كما في الحرف
(س) وقد ترتفع بصورة اهتزاز كما في (ر) ولذلك انقسمت الحروف
الى شفوية ولسانية وحلقية باعتبار مخارجها وقسمت ايضاً باعتبار تنوع
اصواتها الى انغلاقي وطات واهتزازي والاصوات اذا
تنوعت بهذه الخصوصيات وتعاقبت وترتبت على نغم ونبرات
خاصة تحصل منها الكلمات والكلام

الى هنا اسهم النقل

(استنتاج ان الصوت غير موجود)

العلماء بالاجسام

علمت ان الاصوات تنشأ من اهتزاز الاجسام الصائتة وانتقال الاهتزازات

الموصله فلولا حاسة السمع وداعيته لم يكن عندنا في الوجود صوت ولذهبت تلك الموجات
الى ان تتلاشى من نفسها وتنعدم قوة اندفاعها اما اذا الارتفت ولامست في سيرها اعضاء السمع وجهازه
واصطدمت بها شعرنا بالصوت فحقيقة الصوت هي عبارة عن شعورنا بتلك التموجات
والاهتزازات بما اودعه الخالق فينا من الاحساس السمعي ولا يسهل لنا الاهتداء لتنوعات
الاصوات واختلافاتها الا الحاسة السمعية وهي الحكم الوحيد في ذلك لا غير والمقاييس الفنية
مهما بولغ في ضبطها واتقانها لا تفي بالمطلوب من هذه الوجهة وان ضبطت بها عدد الاهتزازات
والتذبذبات ضبطا متقنا ومن مرور تلك التموجات من بين فرج محصوده او انفساحها
على مسافة متعدده ودخولها من واسع لاوسع ومن ضيق لاضيق وبالعكس وتعدد
وقرب في مبدأ التصويت تختلف الاصوات وتتشابه وتتحد فاذا انحدت
جميع هذه الامور تحدث الاصوات والا اختلفت والحكم المميز الوحيد في الاتحاد
والاختلاف هو الوعي السمعي ولولا الاحساس السمعي لكان العالم كله صمت وسكوت
فلنحسبه ما ان كان الصوت نسمعه امر قائم في نفسه سمعناه او لم نسمعه يحكم علينا
البرهان العلمي انكاره أشد الانكار فالصوت ليس بموجود بذلك
المعنى والحس السمعي هو وحده الميزان في تمييز الاصوات واختلافاتها

(اعضاء النطق كالات الموسيقى وكلها مخرج لكل حرف حرف)

ان مادة الكلام الكلمات المؤلفة من الحروف الهجائية وتعدد الحروف الهجائية وامتيازها
انما يكون لاختلاف وضع آلات مخارجها التي مر ذكرها وهذه الاعضاء التي هي الات
النطق كالالات الموسيقية التي يمر دخول الهواء بين فرجها وانفساحها والتوائها

واحدا لها نسمع صوتا خاصا فان اللسان بارتفاعه الى سقف الفم وانخفاضه وميله الى احد الجهتين واتصاله بالاسنان وبانطباق الشفاه وانفتاحها ومرور الهواء بنحو من بين ذلك يحدث الصوت الخاص الذي نسميه الحرف الكذائي كما وقف ذلك وكل واحد من تلك الاعضاء له دخل في تكون كل حرف من الحروف الهجائية ولولا وضعه على تلك الكيفية الخاصة لما حصل الحرف الكذائي فالجميع تتعاون وتتشارك في ايجاده وحينئذ فمعنى ان مخرج الحرف كذا ان العضو الكذائي يكون تبدل وضعه الطبيعي اظهر من باقي الاعضاء وعند وصول تلك الاهتزازات المادة من بين هذه المسالك المختلفة الى الاذن نحس بالحرف الكذائي بنفسه

ويختلف الصوت الحرفي باختلاف ما يجاوره من الحروف [illegible] وقد ادرج هذا الذي ذكرناه لبعضهم من وراء حجاب فاشار الى شيء منه بما يدل على ان الصوت الحرفي يتجدد له صفة خاصة من مخارج بعض الحروف الاخر اذا جاورها قال واحكام النطق بالحرف حالة الافراد لا تنفع ما لم يحكم ذلك في حالة التركيب لانه ينشأ من التركيب ما لم يكن في حالة الافراد بحسب ما يجاور الحرف من مجانس ومقارب وقوي وضعيف ومفخم ومرقق فيجذب القوي الضعيف ويغلب المفخم المرقق ويصعب على اللسان النطق بذلك حقه الا بالرياضة الشديدة فمن احكم صحة التلفظ حالة التركيب حصل على اعظم مرتبة في التجويد وان قوما بالنو

الوضع بافلاطونا

يبالغون في اعتماد الاظهار والتشديدات وبيان الحروف وتفكيكها واخراج بعضها من بعض بالترتيل والتوئده الى ان تجاوزوا في ذلك حد الافراط فتولد من الحركات الحروف وتكرر الراآت وتحرك السواكن وتطن النونات بالمبالغة بالغنات وقد قال حمزه لبعض من سمعه يبالغ في ذلك اما علمت ان ما فوق البياض برص وما فوق الجعود قطط وما فوق القراءة لغط انتهى باصلاح وتبديل من المؤلف

(يكون لحرف واحد مخرجان ولا يكون لحرفين مخرج واحد)

اذا عرفت جوهر الصوت وحقيقته وعلمت منشأ تعدد الحروف الهجائية في مطلق اللغات وانه لا سبيل لنا الى معرفة اختلاف الصوت واتحاده الا الحاسة السمعية اللهم لو تهيأ لنا ان نحس بتلك التموجات المختلفة من غير طريق السمع باحدى الحواس الاخر مجردة او بآلة لم يحصل تمييزها بذلك ومع ذلك فضبط تلك الاهتزازات وعد التموجات لنفسها منقطعة عن الحس السمعي ليس بصوت كا وف

عسى ما

فاعلم انه اذا كانت اوضاع مختلفات للاعضاء النطقية الا انها متشابهات في الانفتاحات والفرج والانعطافات والسعة والضيق وغير ذلك مما يوثر

على التموجات الهوائية امارة من بينها بحيث كانت هذه الخصوصيات وغيرها متحدة فيها فلا بد ان
يكون الصوت الحادث منها متحدا وان اختلف اوضاع آلات النطق بعد اتحادها فيما مر
خذ انبوبة مثقبة من جانبيها بثقبة واحدة ومقدار ثقبه في وسطها انعطافات
متوازية من الطرفين على نسبة واحدة بلا تفاضل ولا تفاوت وهي ذات وضع لو نفخ فيها
صوتت ثم صوت فيها من اي طرفيها شئت تجد تسمع صوتا واحدا ولو ضبطنا اهتزازه
بالمقاييس المتقنة لما وجدنا فيها اختلافا مع ان الوضع مختلف كما هو المفروض
ويظهر من هذا انه يمكن ان يكون لحرف واحد حقيقة مخرجان نعم لا يمكن ان يخرج حرفان
من مخرج واحد وقد عرفت انه لا طريق لمعرفة اتحاد الصوت واختلافه الا السمع فاذا
حكم بوحدة الصوت الخارج من مخرجين مختلفين فلا بد ان نحكم بانه حرف واحد
ذو مخرجين لا انها حرفان مختلفان

(تعدد الحروف باختلاف المخارج لا بتعددها)

ليس تعدد الحروف منشأه تعدد المخارج انما منشأه اختلافها وقد التبس على القوم تعدد
المخرج باختلافه فوقعوا من هذا في اشكالات كثيرة ومنها الفرق بين الضاد والظاء فانهم لما
وجدوا مخرجين لصوت واحد وظنوا ان تعدد المخرج علة لتعدد الحروف جزموا بانهما
انهما في الحروف الهجائية حرفان ولما احسوا بعدم الفرق في السمع وقعوا في حيرة
الفرق بينهما واشكال التمييز واضطروا في التمييز بينهما الى مط احدهما وتفخيم الآخر
وبكل صورة يوجدون فرقا بينهما منطقيا تتبدل له ديباجة الوجه وتتغير له سحنته
ومن البديهي انا متى وجدنا فرقا بينهما بالنطق فالسمع لا يجد بينهما فرقا وهذا امر وجداني

وجداني لا يحتاج الى برهان معه اقامة البرهان على ذلك ومع علمنا ان الحس المسمى هو الحاكم الوحيد في هذا الباب نجزم قطعا بانه ليس عندنا الا حرف واحد وكيفية واحدة لصوت ذي مخرجين وتعدد المخرج لا يقتضي تعدد الحرف الخارج وامتحن ذلك بان تدخل على احدهما همزة مبدا اسكانه ثم تنطق فان فعلت ذلك فلا تجد فرقا في السمع بينهما أصلا

(عدم منافاة عد الحروف الهجائية ٢٨ او ٢٩ لدعوانا)

والذي ذكرناه لا ينافيه ما ذكره ائمة العربية من ان الحروف الهجائية العربية ثمانية وعشرون ولا ينافيه ما ذكره الفقهاء في كتاب الديات من انها كذلك ثمانية وعشرون ولو ما اشعرت به بعض روايات هداة الحق عليهم السلام فان ذلك كله انما كان بحسب تعدد المخارج والدية الشرعية انما تثبت باعتبار فقد مخرج خاص

واما ما ضبطه شيوخ اللغة والمتبحرون منهم من الكلمات التي يحتمل ان يكون احد هذين الحرفين فيها بالظاء دون الضاد وبالعكس فضبطهم هذا موقوف على تسمية احد المخرجين مخرج الظاء والثاني مخرج الضاد اصطلاحا ووضعا وان هذه الكلمات المشكلات العرب يخرجها من المخرج الكذائي وهذا الضبط دون غيره [illegible] بل منشؤه [illegible] الى ان تكون للعرب في القرون الوسطى لهجة تنطق ان يخرجها باصوات من المخارج النطقية خاصا فقدناها نحن ابناؤهم او اضعناها وهذا الصوت هو الذي سموه بالظاء وقد عرفه من ادعى هذا الضبط الذي

(الذي اعتمده من تعليل ضبطهم بعض الالفاظ بالظاء)

والذي اظنه تصحيحا للغلط بعد ان يعلم ان الذال اذا فخم خرج من مخرج ما يسمونه ضادا
وكذا الثاء اذا فخمت خرجت من مخرج ما يسمى ظاء. ومعنى التفخيم توسعة في ممر الصوت الحرفي
ناشئ عن وضع خاص لاحد الاعضاء المصوتة. [illegible] اكثر الطوائف العربية يلفظون بالظاء
[illegible] الظاء ذالا مفخمة وآخرون يلفظون بها ذالا وثاء مفخمين [illegible] يكون
ذلك لغة في بعض الاشخاص. احد وجهي الاول ان يكون قد سمعوها
من عرب بعض الاقطار التي ليست هي عربية محضة من عرب قلب الجزيرة بل في
اطرافها وحواشيها ممن لم يكونوا اولي تلك اللهجة العربية الصحيحة فلا تخلو
[illegible] لهجاتهم من عجمة بواسطة جوارهم لغير العرب فكانوا يسمعونها منهم ذالا مفخمة
كما ينطق بها اهل مصر والشام [illegible]
[illegible] اعتادوا [illegible] في بعض الكلمات فيجاورها من الحروف ما يقرب
من مخرج [illegible] يجاورها ما يبعدها [illegible] صادا [illegible]
ظاء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الثاني
اذا نظرنا الى الالفاظ التي نقلت عن ائمة اللغة بالظاء وجدناها غالبا واقعة
بين حرفين قريبين من مخرجها اي ما تواضعوا على انه مخرج ظاء او بعد حرف او قبله

لو اوقبله كذلك على نحو لو اردنا ان نخرجها من المخرج الذي نسميه مخرج الظا لحصل
من ذلك صعوبة في النطق وتخلف تاباه اللغة المبنية على التخفيف وعدم
التكلف والجري على المجرى الطبعي وقد ذكر جماعة من اهل اللغة ان بعض
الالفاظ تستعمل فيها الظاء والضاد ولو نظرنا الى تلك الالفاظ لوجدنا
ذلك الحرف مكتنفا بحرفين او مسبوقا او ملحقا بحرف يكون نسبته الى مخرج
الظاء كنسبته الى مخرج الضاد فنحن واقعون في كلفة على كل حال مثل
عض وعظم [illegible] ٩٣

[illegible]

وهذا الذي ذكرناه اعتبارا نوعيا والا فالاشخاص مختلفون في ذلك اختلافا
شديدا لاختلاف اعضاء اصواتهم من حيث الطول والقصر ولين الاعصاب
وقساوتها وللرياضة دخل عظيم وفائدة لا تخفى والوجهات اللذان
ذكرناهما يمكن ان يجتمعا وفي الاعتقاد لابن مالك في نفي ان الحرف
في بعض الالفاظ هو الظاء دون الضاد كلام نقله عنه السيوطي في
المزهر احصى فيه القول المأثور عن ائمة اللغة من الالفاظ المشتملة على الظاء بضوابطها كلها التي
استثناها ... كثيرة وليس غرضه منها ما جردناه من ذكر الموازين الطبيعية اللغوية

(ذكر كلمات بعض من تعرض للفرق بين الظاء والضاد)

اكثر المفسرين تعرضوا لها في تفسير قوله تعالى في سورة التكوير وما هو
على الغيب بظنين قال صاحب الكشاف وما هو وما محمد على ما يخبر به
من الغيب بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ بضنين من الضن
وهو البخل لانه لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه او يسأل تعليمه فلا
يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابي بالضاد وكان
رسول الله يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة
مخرجيهما مما لابد منه للقارئ فان اكثر العجم لا يفرقون بينهما ثم قال
بعد ذلك فان قلت فان وضع المصلي احد الحرفين مكان صاحبه قلت هو

ثلث هو كوضع الذال مكان الجيم والثاء مكان السين لان التفاوت بين الضاد والظاء
كالتفاوت بين اخواتها انتهى وقد نقل ابوحيان في كشكوله طيبة ان هذا الكلام
لسان صدره بقوله وربما يوجد في كلام من لا يعتد به وبالجملة ان الضاد والظاء
لما بينهما من كمال القرب ربما يقام احدهما مقام الاخر وهذا كلام في غاية الفساد
فان لكل منهما مخرجا على حده ولو جاز ذلك لقام الجيم مكان الشين انتهى
وقال صاحب روح المعاني في الجزء التاسع منه صـ ٣١٣ طبع بولاق مصر قوله
وما هو على الغيب بضنين الاية من الضن بكسر الضاد وفتحها بمعنى البخل ثم قال وقرأ
ابن مسعود وابن عباس وزيد وثابت وابن عمر وابن الزبير وعائشة وعمر بن عبد
العزيز وابن جبير وعروه بن هشام بن جندب ومجاهد وغيرهم ومن السبعة النحويان
وابن كثير بظنين بالظاء اي بمتهم من الظنة بالكسر بمعنى التهمه ثم قال ولكن الطبري
بالضاد وخطوط المصاحف كلها ولعله اراد المصاحف اعتدادا وله فانهم قالوا
بالظاء خط مصحف ابن مسعود ثم لو نبها في قول ابي عبيده ان الظاء والضاد
في الخط القديم لا يختلفان الا بزياده راس احدهما على الاخر وزياده يسيره قد
تشتبه كما لا يخفى والفرق بين الضاد والظاء مخرجا ان الضاد مخرجها من اصل
حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره ومنهم من
يتمكن من اخراجها منهما والظاء مخرجها من طرف اللسان واصول الثنايا العليا

وفي دائرة المعارف

العربية للبستاني واختلفوا في ابدال احدهما بالآخر هل يمتنع وتفسد به الصلوة ام فعل تفسد
مطلقاً
مجلد (١١) قياساً ونقله في المحيط البرهاني عن عامة المشايخ ونقله في الخلاصة عن ابي
الهلال بمصر ٩ سنة
والضاد هي الحرف حنيفة ومحمد وقيل لا تفسد استحساناً ونقله فيها عن عامة المشايخ كابي
الخامس عشر من مطيع البلخي ومحمد بن سلمة وقال جمع انه اذا امكن الفرق بينهما فتعمده الله وكان
حروف الهجاء ومخرجها
من اول حافة مما لم يقرأ به اهلها وغير المعنى فسدت والا فلا لعسر التمييز بينهما
اللسان وما يليها
من الاضراس هذا خصوصاً على العجم وقد اسلم كثير منهم في الصدر الاول ولم ينقل حثهم على الفرق
الحرف خاص باللغة العربية
وتعليمه من الصحابة ولو كان لازماً لفعلوه ونقل وهذا هو الذي ينبغي ان يعول
ليس له ما يقابله في
سائر اللغات عليه ويفتى به وقد جمع بعض الالفاظ التي يختلف معناها ضاداً وظاءً في
المعاصرين ولو في سواها
رسالة صغيرة وقد احسن بذلك فليراجع وانه مهم انتهى اقول الحكم
ويعبرون عنه في
اللغات الافرنجية حث الصحابة وانكارهم شاهد على ما ذكرناه من اتحادهما خارجاً واختلافهما
بحرف d̲h وقد يستعينون عنه
الحرف الاعجمي بنقطتين مخرجاً واما ما رواه البرهاني عن صاحب الكشاف وما رواه في كلمة الاولى
تحت حرف d̲
او فوقه مع ان هذا من اختلافهما مخرجاً ودعواه البداهة في ذلك وغلوه في الانكار على من
الحرف من مميزات ناقشه فيه فلا يضرنا لانا نعترف باختلاف المخرج من حيث وضع
العربية فلعصبيته
فقد فسد لفظة حملة الاعضاء الصوتية والاركان مع الصوت وانفتاحاته والخارج منهما بعد

في كثير من بلاد العرب وفي ســـ ٣ سفينة الراغب ودفينة المطالب للامام محمد راغب باشا طبع بولاق الاصفهاني
وبين قبائل البادية فلا يفرقون النظر
بينه وبين الظاء كانهما مصر سنة ١٢٨٢ ص ١١٩ تحت عنوان ان اشتباه الضاد بالظاء غير مبطل للصلوة ٦ محرم ٣٤٣
حرف واحد فان واهل المدينة
الحجاز وجدنا ان اشتباه الضاد بالظاء لا يبطل الصلوة ويدل عليه ان المشايخ

مصر وسوريا ينطقون به من طرف اللسان على غير صفة الاصلي والضاد في حساب الجمل عدده عن ثمانمائة من العدد وظالهجا
والظاء هي الحرف السابع عشر من حروف الهجاء ومخرجها ومن دال معجمة وليس في العبرانية والسريانية حرف يقابلها وقد فسد
لفظها في سوريا ومصر فينطقون بها غالباً كالزاء المعجمة او كالضاد بلغة العامة ولكن اهل العراق وبادية العرب ٥ عشر

عشيه ينطقون بها على وصفها ويجدون عنها في اللغات الافرنجيه بحرف (Z) ويضعون تحته خطا او نقطه او يرسمونه بالافرنجي (Ḍ Ḏ) والظا . بحساب الجمل عباره ٩٠٠ من العدد صح صح

حاصله بينهما جدا والتمييز عسير فوجب ان يسقط التكليف بالفرق بينهما بيان المشابهه من وجوه الاول انهما من الحروف المجهوره الثاني انهما من الحروف الرخوه الثالث انهما من الحروف المطبقه الرابع ان الظا وان كان مخرجه طرف اللسان واطراف الثنايا العليا ومخرج الضاد من اول حافة اللسان وما بينها من الاضراس الا انه حصل في الضاد انبساط لاجل الرخاوه وبهذا السبب يقرب مخرجه من مخرج الظا الخامس ان النطق بحرف الضاد مخصوص بالعرب قال ﷺ انا افصح الحديث فثبت بما ذكرناه ان المشابهه بين الضاد والظا شديده وان التمييز عسير واذا ثبت هذا فنقول لو كان هذا الفرق معتبرا لوقع السؤال عنه في زمان رسول الله ﷺ وازمنة الصحابه لاسيما عند دخول العجم الاسلام فلما لم ينقل وقوع هذا السؤال عن هذه المسئله البينه علمنا ان التمييز بين هذين الحرفين ليس في محل التكليف انتهى وقال آخر الضاد من اول حافة اللسان وما يليه من الاضراس من الجانب الايسر وقيل من الايمن والظا وكذا الثا والذال من بين طرف اللسان واطراف الثنايا العليا والضاد والظا مشتركان في صفة الجهر والرخاوه والاستعلا والاطباق وانفردت الضاد بالاستطاله انتهى والذى ذكره الراغب وهو الرازي جله في الفرق جله يرجع الى اتحادها في الصفات الصوتيه وتشابههما في المزايا النطقيه وفيه دلاله واضحه على ما ذكرناه من اتحاد المخارج وطريقه وان الاحكام الشرعيه موردها ذالك

في كتاب النزهة في الاصول النحوية تأليف السيد اقليميس يوسف داود الموصلي السرياني مطران دمشق طبع الموصل طبعة ثالثة سنة ١٨٨٦م واما الضاد والظاء فهما نظير الذال والثاء وقد ضاع في اللفظ الفرق بينهما منذ اجيال فان الحريري نفسه الذي اشتهر في القرن الحادي عشر للميلاد والقرن الخامس للهجرة وضع قواعد لتمييز الضاد من الظاء في الخط فلم يكن فرق بينهما في اللفظ في عصره الا انه نطلب من التفكر بأكد لدينا ان اولئك كانوا يوقنون في لفظ الضاد من الظاء وذلك اولاً لانه لولم يوقنوا بينهما في اللفظ لما فرقوهما في الخط فان سائر الحروف لكل منها لفظ خصوصي وثانياً لان علماء النحو في تكلمهم عن الحروف ومخارجها وخواصها ميزوا دائماً الظاء من الضاد وثالثاً لان الضاد والصاد تقابلان حرفاً واحداً في السريانية والعبرانية وهو الصدي والطا والظاء ايضا تقابلان حرفاً واحداً وهو الطيث فيقتضي ان يكون لفظ الضاد قريباً الى لفظ الصاد ولفظ الظاء قريباً الى لفظ الطاء اما الضاد فلفظها الصحيح هو ذال مفخمة او مغلظة كما يلفظها العرب الاحرار قاطبة واهل الجزيرة والعراق لا دالاً مفخمة كما يلفظها اهل الشام ومصر المولدون لانه لو كان الاقدمون يلفظون بها كالدال المفخمة لما جمعوها مع الدال الرقيقة في كلمة واحدة نحو ضد وداض لان العرب لا يجمعون ابداً في كلمة واحدة حرفاً مفخماً مع رقيقه فلا تجد في اصل واحد ص وس ولا ط وت ولا ض ود ولا ث وظ فلا شك اذن في ان لفظ الضاد هو ذال مفخمة وكذلك لا شك في ان الظاء ليست ذالاً مفخمة كما يلفظها اهل الشام ومصر لانه لما كانت الظاء تقابل الطاء كما ان الضاد تقابل الصاد

الصاد وكانت الضاد حاصلة من تغليظ الذال المناسبة مع السين التي تغليظها هو الصاد فيتضح
ان الظا هو حاصله من تغليظ الثاء المناسبة مع التا التي تغليظها هو الطا فكان
الضاد هي ذال معجمة كذلك الظا هي ثاء معجمة وهذا هو الفرق بينهما وناهيك ان علما
التجويد في ذكرهم مخرج الظا لم يعدوها مع حروف الصفير وهي الصاد والسين والزاي
ولو كان لفظها كلفظ اهل الشام ومصر لوجب ان تكون من حروف الصفير بل
جعلوا مخرجها اول اللسان مع الثنايا العليا وعدوا من هذا المخرج الذال والظا
والثاء فقط الوثري انك لم تجد في اللغة العربية كلمة يجتمع فيها الذال والضاد
كذلك لا يجتمع ابدا في كلمة عربية الثاء والظا وذلك من سبب عام وهو ان
الحرف الواحد لا يجتمع ابدا مع معجمه في كلمة واحدة انتهى وقد نقلت كلامه
بطوله لاني لم اصف بكلام اوفى منه بالموضوع والنص ومع ذلك ففيه فوائد
غير ما نحن بصدده الان فيما ذكره من الفرق ما لا يخفى اما ما ذكره ولا فيه ان
تفرقتهم بالخط يمكن ان تكون لتعدد المخرج وهي مع ذلك لا تستحق الاحتجاج علينا
واما الثاني فهو شاهد لنا من كونهما متعددين مخرجا لا خارجا واما الثالث
فهو استحسان وحسبان وفي كلامه كثير من قبيله مما لا يؤيده شاهد ولا
برهان الان فيه زيادة بصيرة ونقل الرهاني عن ابي عمرو بن العلا امام اللغة
انه يقول باتحاد الضاد مع الظا وانه اقام على ذلك ادلة وشواهد وهو بعيد
فان كان غرضه الاتحاد من الجهة التي ذكرناها فهو حق لا ينبغي انكاره ولم اقف على كلامه

(فوائد منثوره وكلمات مأثوره)

قال الجاحظ في البيان والتبيين طبع مصر المطبعة العلمية ص ٨٨ سنة ١٣١١ اما الضاد فليس يخرج الا من
الشدق الايمن الا ان يكون المتكلم اعسر ايسر مثل عمر بن الخطاب فانه كان يخرج الضاد من
الضاد من اي شدقيه شاء فاما الايمن والاعسر والاضبط فلا يمكنهم الا بالاستكراه
الشديد مثل الانفاس مقسومة الى منخرين والاستراواح لا يكون الا من واحد اذا تركت على
سجيتها ومع الاستكراه والتكلف يكون منهما انتهى

والذي تسقط جميع اسنانه انطق بالضاد من الذي تسقط بعضها وكذا الامر في الحروف جميعها
ولكل لغة حروف تدور في اكثر كلماتها وحروف لا توجد فيها اصلا فالسين تشيع الدوران
في لغة الرومان والجرامقة يكثرون استعمال العين ويروى عن الاصمعي انه ليس للروم
ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسريان ذال وان الجيم لا تقارن الظاء بتقديم ولا تاخير
والزاي كذلك والسين لا تقارن الضاد بتقديم ولا تاخير وروى الليث ان
الخليل قال الظاء حرف عربي خص به لسان العرب لا يشاركهم فيه احد من سائر
الامم وهو من الحروف المجهورة وهي والذال والثاء في حيز واحد وهي الحروف
اللثوية لان مبدأها من اللثة وهي لا بد ان تكون اصلا ولا تكون بدلا ولا زائدا
وقال ابن جني ولا توجد في كلام النبط فاذا وقعت فيه قلبوها طاء وذكر ابن
ام القاسم وغيره انهم لم يجدوا في ابدالها شيئا ولم يتعرض لذلك في التسهيل
على كثرة ما فيه الغرائب وتركه في الممتع ايضا مع انه جامع لغرائب الفن وروي
عن ابن عصفور انها تبدل من الذال المعجمة يقال وقذه ووقظه ومثله عن ابن السكيت
وروى ارض جلذاء وجلظاء

جلفظ، قال الجاحظ والراء تدخلها اللثغة بالظاء فيقال في مرمظة واللثغة في الراء اذا كانت بالياء هي احقرهن واوضعهن لذي المروءة ثم التي على الظاء، واللثغة موجودة في سائر اللغات وجميع اللهجات ومنها ما لا يصوره الخط لانه ليس من الحروف المعروفة في تلك اللغة وانما هو مخرج من المخارج والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها

وليس ذلك في شيء اكثر منها في لغة الخوز وفي سواحل البحر من اسياف فارس ناس كثير كلامهم شبيه بالصفير فمن يستطيع ان يصور كثيرا من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر من فم المجوسي اذا ترك الافصاح عن معانيه واخذ في باب الكناية وهو على الطعام انتهى وقد علمت ان مادة الصوت تقوم به الحنجرة واما كيفياته الحرفية فهي وظيفة ما عداها من اعضاء الصوت، واللثغة ابدال مخرج للحرف بمخرج آخر قريب منه لعجز في الجهاز المكلف للصوت عن اداء تلك الكيفية من مخرجها الطبيعي لعرض اصلي او طاري يوجب تشنجا في بعض اعضاء اعصاب ذلك الجهاز او تمددا فيه او وجود فرجة تنفلت منها الموجة الصوتية كما لو كان اعلم من شفة السفلى وجمع الى ذلك انه منزوع الثنايا السفلى وغير ذلك مما لا يحصى

(فصل في كيفية امتثال الامر الشرعي المتعلق بكلمة مشتملة على احد الحرفين)

لعد ان عرفت موضع الاتحاد والفرق بين هذين الحرفين وعلمت ما اقتضاه الدليل العقلي في ذلك فلو امرنا شرعا بالنطق بلفظة مشتملة على احد

الحرفين اما لكونهما جزأ من ذكر واجب او قرائة واجبة او مستحبين فهنا
مقامات الاول ان نقطع بان الحرف الذي اشتملت عليه الكلمة هو ذو مخرج
الحرف المسمى بالظاء او بالضاد وبان وضع اللفظ مشروط بخصوصية المخرج
الخاص وبانا مكلفون باخراجه من ذلك المخرج بعد الامر المتعلق باثبات
الكلمة المشتملة على ذلك على نهجها العربي الذي لا يمكن امتثاله الا بالتلفظ لنا قطع
باكمالك فالعمل على ما قطعنا به ولا نتعداه ولا يكون هذا القطع ما لم يحصل ثاني
ومنشأ القطع الاول اما ان يكون تسالم شيوخ علوم الادب وائمة اللغة على
ذلك وتعاليمهم له وقلما يحصل ذلك واما لان القراء الذين صحب
لنا القرائة بقرائتهم علم منهم انه عند النطق به يخرجونه من المخرج الكذائي وبعدما هو
الذي يجب في منشأ هذا القطع الثاني لم يحصل لنا هذان القطعان فالواجب علينا
في كيفية النطق به ان نعرض تلك الكلمة التي امرنا بتلاوتها على العرب المستقيمي
اللسان وهي واشباهها من الكلمات التي تشتمل على احد الحرفين قطعا بمجموعه
فما انطلقت به السنتهم على حرف طباعهم ونطقت به افواههم وادته
لهجتهم الجبلية فلا اشكال في صدق امتثال الامر بتلك الكلمة باتيان مثله
اذا صدق عليه في عرفهم انه قد نطق به كغيره من سائر الحروف وهذا كلف المطلوب
في صدر الاسلام فوسوسة كثير من الناس في الضاد وتكلفهم معرفة مخرجه
من مخرجه انما نشأت من جهال ادعوا التضلع في علم التجويد واقتفى اثرهم من

٩٣

يكون هذا منشأ للقطعين صح

المخرج المعين هو المخرج الضادي او الظائي صح

من صعب ان ينطلق لسانه باللغة العربية كالكثير من الاعاجم والاولى كان اللسان عربيا
مستقيما خرج الحرف من مخرجه قهرًا بلا كلفة ولا صعوبة وصعب اخراجه من غيره واجراه
فالسير على ما ذكروه من المخارج وقسموه ومحاولة حصول ذلك واولويا الثادية
وقسطاسا للنطق بها وامتثال الاوامر المتعلقة فيها لا وجه له قطعا كما انه
لا اشكال في ان المخارج التي ذكرها تقريبية لا تحقيقية ولا يعرفها على التحقيق الا من اوتي
اللسان قوة البيان وميزه بذلك عن الحيوان نعم يمكن ان ينفع تلك التقسيمات التقريبية
في بعض الامور والاحوال

ومما لا اشكال فيه انه يصدق عرفًا انه نطق نطقا صحيحا عربيا بما اشتمل على احد الحرفين
من اي مخرج اخرجه بعد ما عرفت من اتحادهما مثلا اذا انا وان تعدد المخرج لذينك الحرفين في
تلك الوحدة على ما اوضحناه واعتبار احد المخرجين بخصوصه لغة اشترطها ما يعسر الاطلاع
عليه والتحقيق في نقله واصحه واجتهاد الناقل لا يكون حجة وكلما جاء من ذلك
القبيل فهو تخرص وتخيل

تقرير الاصل في المسألة الشرعية

اذا لم يحصل لنا القطع بان الحرف الكذائي الذي اشتملت عليه الكلمة هو ذو المخرج الكذائي
الذي عرف الواجب علينا من كيفية ادائه ومنطقه وشككنا في ذلك وفيما يجب علينا
من اخراجه من اي مخرج من المخرجين فان تساوى الاحتمالان فالتخيير اذا لم يمكن

بالجمع وان احتملنا التمييز لاحد الخرجين دخلت المسئلة في دوران الامر بين التحديد والتعيين وليس له التكرار احتياطاً في الصلوة للعلم الاجمالي بكونه مكلفاً باخراجه من احدهما لان احدهما يكون ملحقاً بكلام الآدميين فلا تصح معه الصلوة وكيفما كان فالامر سهل لذلك فقد عرفت الواجب المباشرها في صورة القطع باحد المخرجين من كيفية النطق والتأدية ففي صورة الشك كذلك

(الضاد السنية والضاد الشيعية)

لم يزل العلماء في شك من التمييز بين الظاء والضاد تأدية ونطقاً وقد قال بعضهم انها تحتاج الى رياضة طويلة وادعى آخر انها لا يعرفها الا الجهابذة النقاد وقال بعض بان التباس المنهج من تقارب المخرج وبين علماء الشيعة والسنة معركة علمية تقادم عهدها وتطاول امدها في كيفية النطق بالضاد وان ايهما افصح الضاد الحجازية العراقية التي هي شيعية او الضاد المصرية الشامية التي هي سنية ولكل على ذلك ادلة وشواهد وعن بعضهم ان النطق بالضاد قريبة من الذال ليس من طريقة اهل السنة المتبعة انما هو من طريقة الطائفة المبتدعة

(نظرة في اللغة العربية)

ان الاستاذ الماهر ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة فيما اعلم هو اول من تنبه الى ان اللغة العربية في زمانه
متشعبة عن اصول محدودة من دون ان يفهمنا انها كيف تتشعب واذ هذه الاصول عربية ام لا انما
تصور لها معنى واحد ترجع اليه جميعها وقد ادرج في كتابه هذا الراي وابدع وتدبيق لجيد وصف
حسبه هذا السفر النفيس نشرته في مجلة لغة العرب البغدادية وقد طلب احد المصريين
هذا السفر ليطبعه بعد اطلاعه على ذلك المقال وحالت دون اجابته لطلبه حوائل وما جاء
به قريحة ابن فارس لم يستطع اكثر منه في زمانه وهو من امهات المعاجم العربية ولم يطبع
الى الان وما رايت منه سوى نسخة واحدة باقية الى الان في احدى مكتبات النجف وقد عالج
نفس الموضوع السيد يوسف مطران دمشق في مقدمة كتابه الترنيمة المطبوع سنة ١٨٨٦ وقد اخذ بها
القراء لذالك ببيان اجمالي هو غاية ما يلزم باعتبار ان ما كتبه في هذا الموضوع مقدمة لكتاب في
النحو والصرف وزاد على ابن فارس بما ذكره من ماخذ بعض الالفاظ العربية من لغات غيرها وبذلك
نبه قرائه للنظر في اصول اللغة العربية وما تشترك فيه جملة من اللغات فيها وللدكتور
بوديو استاذ التاريخ في الكلية الانجيلية السورية في تفريع اللغات وتشعبها مقال على نشره
سنة ١٣١٥ هـ درس فيه الموضوع في مطلق اللغات واللغة العربية في جملتها وحذى حذوه
جرجي زيدان في كتابه الفلسفة اللغوية وفي كتابه تاريخ اللغة العربية المطبوع سنة ١٩٠٤م توسع
في الموضوع فيما يخص اللغة العربية واجرى عليها احكام كائن حي نام خاضع لنواميس الارتقاء وقد
ضمنه بحثا فلسفيا تاريخيا فيما طرأ على الفاظ اللغة العربية وتراكيبها من العقود والتجدد ويمكننا
تحديد هذا البحث في سائر اللغات في كل جيل يمر على اي لغة باعتبار انها لا تزال في تجدد
ودونك هذا اهم ما وقفت عليه فيما جرى في هذا الموضوع باللغة العربية عدى ما قرأناه من فصول

استطردها المؤلفون استطرادا ونذكر للقارئ خلاصة الخلاصة كالمام بالموضوع نلخص بها المباحث السابقة استيفاء لتلك المباحث وتتميما للامر من هذه الجهة أنبأنا القرآن الكريم ان ابا البشر قد الهم من قبل العناية الربانية وجهز بالودائع الالهية بجهزه على سائر انواع الحيوان بلغة او لغات فان الرواية الكريمة غير واضحة الدلالة من هذه الجهة فلو تأملنا في مقالة العالمين بنوجه اصل اللغات استطاع التفاهم بها ابناءه في التعبير عن مقاصدهم فقال العزيز قائل وعلم آدم الاسماء كلها الرواية اما ما عداهم من سائر انواع الحيوان فهو عاطل غير مشمول لتلك العناية الا ما يكون من قبيل الحكاية والصدى لشبه ما خص في جهازه الصوتي مثل ما نسمعه من الالة الحاكية من دون ان يكون ذلها او لبعضها لغة كلغات الانسان من احط لو علاها في سلم الارتقاء منضبطة بقواعد وضوابط مقررة تتفاهم بها في التعبير عن خواطرها وانطلاق السنة بعضها ببعض لغات البشر حركة غير اختيارية ولو كانت في موضوعها في حالة التفاهم البشري والاعلانها ودربت عليها في تلك الاحوال ومن الممكن ان يكون لها بعضها لغات لا نعلمها

يدعي علماء اللغات ان اليوم اللغات واصلها لغة واحدة في اول الامر ثم نمت وتفرعت واختلفت وتباينت مثلما نشاهده في لهجات لغاتنا الحاضرة فكل لهجة سوف تصبح لغة قائمة بنفسها مستقلة عن اخواتها خطية صرفها وهي خاضعة لاحكام النشوء والارتقاء الطبيعية ونحن لا نحسب هذا الاحتمال فيه حقيقة ما لم يتأيد بشواهد بينات ولم لا يكون الامر على عكس الله وان اللغات كانت اكثر من لغات البشر الحاضرة اضعافا مضاعفة ثم انكمشت وتداخلت ولسوف تتداخل حتى تكون لغة واحدة وكونها لم تصل الينا ولم نحصها لا يصلح شاهدا للنفي وعرضي الحذر ثم الحذر من ان يدمج في الكتب القواعد العلمية ما هو من قبيل الظن والخيال قالوا ثم ان تلك اللغة توالدت وتشعبت بالانقسام وتفرعت كما تفرع الناطقون بها

بها ونقطعوا اسباطا في طول الدوس وعرضها ولغات الامم المتمدنه اطول اعمارا واصبر على مكافحه
الطوارئ الطبيعيه وهي مصونه باشعارها واسفارها وكلما رسخ قدم امة في المدنيه طال
عمر لغتها وهي حافظة لشبابها ونشاطها ولو لم يصلح شاهدا ولو وجب قاعه انا
اذا حللنا اي لغة تحليلا كيماويا لغويا وفككنا بين عناصر مفرداتها ووجدناها مركبات تنحل (عليه على ذلك الدعوى)
الى بسائط وتلك البسائط الى ابسط منها وهكذا حتى ينتهي الامر الى الفاظ لا تتجاوز
الخمسمائه كما يقولون فانه من الجائز ان يكون ذلك لمشابهة الاصوات لا لاتحادها ولماذا
لا يكون الحال من مبدئه ان كل امة انطلقت السنتها بما يشابه الامة الاخرى في بعض اصواتها
اللفظيه ويكون ذلك من قبيل الترادف والتوارد في وضع الالفاظ لا من قبيل الاشتراك فليس لنا
ان نستنتج بمجرد الاتفاق والتجانس ان كل لغات العالم الحاضر نشأت من فروع قليلة وهذه
الفروع نشأت من لغة واحده وكيفما كان الامر فان علماء اللغات لما نظروا في اللغات الحاضرة
وجدوها تنقسم بالنظر الى تدرجها ونموها في سلم ارتقائها الى ادوار ثلاثه البساطه
ثم الامتزاج ثم النحت فدور البساطه هو الذي كانت فيه اللغه مؤلفه من الفاظ بسيطه
ذات مقطع واحد وما مفرداتها في ذلك الدور الا حكاية الانسان للاصوات الخارجيه فيعبر عن الرعد
بحكايه صوته وعن الريح بحكايه صوتها وعما حوله من حيوان وماء ونبات وماء وشجر فبحكايه
اصواتها اما الروابط وتعيين المكان والزمان فيفهمها بالاشاره والحركات الجسديه فلا يعرف
تلك الالفاظ للدلاله على الزمان والحدث والافراد والجمع وهذا الدور في طفوليته
يستعان بربط مفرداته بالاشاره ثم بسبيل بطيء توضع مكان الاشاره لفظه تدل على

ذلك المعنى الذي دلت عليه الاشارة لكنها تحكي عنه كمعنى قائم في نفسه له خصوصيه وربط بين معان
تلك الالفاظ وفي الدور الثاني تتركب الالفاظ وتمتزج وتنضم من مزج لفظه باخرى والتحام
تتولد لفظه مع بقاء اصلها على صورته من غير تغيير في ترتيب الحروف ولو زياده فيزداد وبذلك
تتأدى المعاني المختلفه من زمان ومكان وصفة وهيئة وفي الدور الثالث ينحت من اللفظتين
المركبتين بالحذف والقلب والتغيير والزياده كلمات تؤدي معان خاصه وقد يطرأ
عليها التغيير ويمر بها حتى يبعد احيانا ردها الى اصلها ثم ذلك المنحوت يتصرف على وجوه
شتى للدلاله على الزمان والحدث والافراد والجمع وهنا اقول ان ابن عباد الصيمري ادرك
سرا غامضا في وضع الالفاظ وذاقه بصرف طبعه وقد اخبرنا المناسبه الذي ادعاها
في وضع الالفاظ في موضح من المعنى صحيح هو الرأي الحر الذي اقتنع به علماء اللغات من نشوء اللغات
وتنوعها ورجوعها الى اصل واحد وهو ديدها الاول والعربيه من اللغات التي ارتقت الى
هذا الدور الذي هو الذروه في سلم ارتقاء اللغات اما انا كيف نعلم ان اللغتين تفرعتا
من اصل واحد فسبيله اذا جردنا الفاظ لغه تكون مسمياتها مما تشتد الحاجه اليها في اكثر الاحيان
كاسماء بعض الحيوانات الداجنه والارض والشمس والنجوم والقمر والبحر والنهر والاب والام والابن والاخ
من مزيداتها وابقينا اصولها وهي قليله بالنسبه الى المزيدات ثم قابلنا هذه الاصول باصول
لغه اخرى في الفاظ تلك مسمياتها ووجدنا بينها اتفاقا وتشابها في تلك الاصول نحكم
بتجانسها وتفرعها من اصل واحد والعربيه والعبرانيه واخواتها تحت هذا القياس
ولذا حكموا بانهما كانتا لغة واحده ومنذ قديم الازمان توجد لغات قد اندرس
استعمالها تشارك العربيه والعبرانيه في هذه الاصول ومنه استكشفوا انها
شقيقات لهما وقد عدوا منها الاثوريه والسبطيه والكلدانيه وغيرها من فروع

بلغت

من فروع اللغة السامية وإذا دققنا النظر في اللغة السامية نجدها هي بنفسها
الدور الثالث في سلم الارتقاء قبل أن تنشعب الى فروعها هذه فتكونت فيها الأسماء
والأفعال والحروف ومشتقاتها ومرتباتها في قبل أن يحملها العرب الى جزيرتهم فتكون
لغة عربية ثم كانت داخلة في هذا الدور وذات اختصاصات وامتيازات
عن غيرها ثم ان العربية تشعبت الى الحجازية واليمنية والحبشية وهذه
تفرعت كل واحدة منها الى فروع وكذلك كانت قبل الإسلام تمتاز القبائل بعضها عن بعض
كما تمتاز الآن بعض الألوية العراقية بعضها عن بعض بلهجاتها وما بين لغات تلك
القبائل اختلافات مبسوطة فلكل من ربيعة وتميم ومضر وقيس وهذيل وقضاعة
وغيرهن لغة ولهجة والعربية الفصحى منهن هي التي كانت أبعد من غيرها عن اختلاطها
بأمم أخرى وقد طرحت لغة قبيلة قريش التي امتازت بتجارتها واسفارها
وبكثرة اختلاطها بالأمم الأجنبية العربية بها من الاشتقاقات والتراكيب والدخيل
ما لا مثيل له في غيرها وأتى الإسلام في جملة فروع اللغة العربية بواسطة أحكام
الأفكار والمهاجرة وتغيير الشؤون تأثيرا ظاهرا واللغات السامية وهي
العبرانية والكلدانية والنبطية والموابية والفينيقية والحبشية والسامرية
وغيرها من أخوات اللغة العربية مزايا مشتركة تختص بها دون سائر
اللغات المعروفة منها أنها تميز مذكرها من مؤنثها ومنها أن لها حروفًا

وهي حقصقصط وغيرها تخشعوها ومنها ان الضمائر فيها تتصل بجميع اقسام
الكلمه وهذا ما ذكرنا من انها دخلت الدور الثالث قبل نزوحها والساميون
مفطورون باصل خلقتهم على النطق بالحروف الحلقيه والطفل السامي
في حضانته ينطلق لسانه بها بعد النطق بالباء والميم والدال بافصح
ما يكون مع ان غير السامي يضطر لرياضه طويله حتى يستطيع النطق بها
ولو يحسنها كما ينبغي بنبرتها الخاصه وعلاوه على ذالك فان الجهاز الصوتي
السامي مستعد للافصاح باي لغه اجنبيه اما الدخيل والمزيب عنهم
فلو يستطيع ذالك في مطلق اللغات الساميه وان كان بعضها اهون
وللعلماء نزاع في ان اي اللغات الساميه هي الولد البكر لوم هي اللغة
الساميه والتي كان فطامه اقدم وتتنازع تلك الدوليه لغات
ثلاث السريانيه والعربيه والعبرانيه وبالغ بعض فجعل العربيه اما
لهما واستدل لذالك بادله كلها ظنون لو توجب جزما ولو يقينا منها ان
الاصول التي تتفق فيها العبرانيه والسريانيه توجد باجمعها في العربيه
ما عدى اليسير من ذالك وقد احتفظت بها العربيه باجمعها فيدل هذا
ان السريان والعبران اتخذوها منها ومنها انه توجد الفاظ لها مستبهمه
حقيقتها فيهما وهي موجوده في العربيه بحيث يرتفع الاستبهام والشبهة

والتشبيه ومنها انه توجد الفاظ مختزلة فيها وهي كاملة فيها كالنونات
في انت وانتم والمبدوء بها الافعال المضارعة وال التعريف فان هذه الحروف
تسقط فيها ومنها ان الكلمات المشتملة على الضاد قبلها تحيلت بقياس
مطرد صاداً في العبرانية وعيناً في السريانية مثل قبض وضاق وارض
وضان ولو كان العرب اخذوها لم يبقوها عيناً او صاداً لوجود هذين
الحرفين في العربية وليست احداها اخذت من الاخرى لوجود العين و
الصاد في كلتا اللغتين والضاد لم توجد الا في العربية ومثلها الكلمات
المشتملة على الذال في العربية فانها في السريانية دال وفي العبرانية زاي
ومثلها المشتملة في العربية على الثاء فانها في العبرانية شين وفي
السريانية تاء بقياس مطرد في المقامين والفحص يدلنا على نحو ما
ذكرنا في الضاد قال في التمرينة ولنا برهان آخر على ذلك قاطع كل ريب
مستند على التاريخ وهو ان اقدم كتاب كتب في العبرانية هو سفر
ايوب وهو مشحون بصيغ وجمل عربية وهذا دليل على ان العبرانية
في قديم الزمان كانت اقرب للعربية مما صارت اليه فيما بعد

وهذه الدلائل وغيرها مما اهملنا ذكرها ان لم تدل على ابوة اللغة العربية

لها فقد ولها على انها اقرب لوصلت

وعقيدت ان مدينة هي وحدها يمكن ان تعطينا فرداً دقيقه لتحصل للجهاد المشرح

الصوتي اذا استطعنا ان نعرف ماهي الرنطانات والتجعدات والحواجز

التي توجب اختلاف الاصوات بالدقة فانكيفوان الاجهزه الصوتيه لايساعد

حالها التشريحي لتصويت بعض الحروف وهو من جملة فوارق الشعوب

البشرية ومن التاريخ الطبيعي لها يمكن ان نستفيد قواعد متفقة

في تفرعات اللغات وتشعبها

والوطن الوصلي للعرب واطنانهم في ارضهم من دون ان يحكم فيها غريب او

تغلب عليهم دول وتحصنهم في قفارهم وبواديهم هو الذي حفظ لهم

لغتهم اما الذين خرجوا منهم ولم يتحصنوا بحصونهم او لم يدخلوا معهم تلك

المجاهل فقد لعبت بهم النوائب والتقلبات ولعبت بهم الحوادث
(؟ في الاصل عبارة صغيرة بين السطرين غير واضحة)

والاختلاطات فغيرت لنا لغتهم شيئاً فشيئاً حتى لم تبق الاشت

عربيتها وظلت كلغة مستقلة ثم ما زالت كذلك عرضة للمبادلات

حتى انطمست واندرست وان خلفت لنا اسفاراً وكتباً على عهد استقلالها

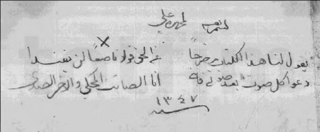
هي اقدم مما الف في اللغة العربية وذلك لانها تقدمت الحضارة

والمدنية قبل امها العجوز بقرون وذلك كالعبري السريانية والعبرانية

فان اللغة العربية وضعتها منذ اجيال واستولت على بلاد العراق والسريان
وقد بطلت السريانية من جميع مدنها الكبيرة حتى اسمها السرياني تبدل
والروم السريانية كلغتها انقرضت واندمجت
واللغة العربية اغنى لغات العالم واوسعها وللشديباق كلمة فابل بينها
وبين لغات الافرنج فيها نوردها هنا لما فيها من الفائدة قال في كتابه منتهى
العجب ان لغات الافرنج لم تزل في ضم الكلام بعضه الى بعض في حالة
الطفولة اعني انهم يوردون جملة بعد جملة اقتضابا من دون حرف عاطف
وكثيرا ما يوردون الجمل من دون مناسبة ولا ارتباط فمن ثم كانت
الترجمة من العربية الى الافرنجية اسهل من الترجمة من هذه الى تلك
فاما نسق الكلام وتاليفه فعندهم من الشذوذ والخروج فيه عن الاساليب
الصحيحة ما لا يحصى فمن ذلك عدم ذكر اداة السبب ووجه التعليل
والتفريع ومن ذلك عدم المطابقة ومن ذلك المعاظلة وكثرة تشتيت
الكلام بعضه ببعض ومن ذلك اطلاق المقيد وتقييد المطلق من
الظروف والاحوال ومن ذلك النعت المقحم والابتداء بالمعرفة
اقتضابا واستثناء اخرى انتهى وقد ضمنت كتاب العربية لكثرة مزاولتهم
للغات الاجانب في تعابير ركيكة قبيحة شبيهة بلغات الافرنج فهي افرنجية عربية

وقد استأثرت اللغة العربية من دون جميع اللغات بحرف الضاد الحرف الذي لم
يفد وغير المولدين * منهم ان يلفظوه حسناً وحتى الساميات اخوات العربية
لم يوجد فيها هذا الحرف والاقوام الذين يتكلمون بالعربية وليسوا من العرب
لا يحسنون النطق به الا بتكلف ومعظمهم يلفظه دالاً مغلظة وبعض يلفظه
كالفاء الافرنجية المغلظة واخطأ اللفظ. مثلا وهذان الحرفان البدويات
هما طابع العروبة الطبيعي ويروى ان في نجد جبلا يسمى عكاد سكانه
الآن يحسنون النطق بهذين الحرفين فلا يستطيع شعب من الشعوب
ان يلفظها مثلما يلفظها العربية ونحن الفصحانية وهم يتكلمون بالعربية
بحسب القواعد النحوية والصرفية حتى قرننا هذا والفرق بين هذين الحرفين
قد قدمنا فيه ما به الكفاية
ونختم هذه النبذة بكلمة نطرحها امام القارئ الكريم وملاحظة
لم يوافقنا فيها ولها اثرهم في باب الدية المشترحة وما ذلك
تجول في الخاطر وهذا معد بسيد ولانها غير معهودة عند ائمة العربية
كما نستوحش من التصرح بها ولكني اظرف بمن صرح بها من عهد
قريب
قد قدمنا في هذا الكتاب الميزان في اختلاف الحرف واتحادها

وابجادها والمعروف المشهور ان الحروف الهجائية ثمانية وعشرون
وقد جعلوا لكل حرف رسم خاص في كتابته ولكنا اذا اعتبرنا الموازين
التي بها تتعدد الحروف وراعينا الحروف من جهة التلفظ بها كان عددها
اكثر من ذلك بحسب اختلاف مخارجها والنطق بها فان النطق والمخرج
يختلف اشد الاختلاف في الحرف الواحد رقيقه وخفيفه ومغلظه
ومفخمه فهذه الحروف وهي ر ب ل م ن ي و ف د ز س ش ذ
ث رقيقها ومغلظها وخفيفها ومفخمها مختلفان اشد الاختلاف خارجا
ومخرجا ولفظا وملفوظا راجع كتب التجويد فكل واحد منها بالنسبة
حرفان مستقلان ولا يوثر في تعددهما رسمهما بصورة واحدة
ويمكن ان يستطيع الشخص لفظ الرقيق ولا يستطيع النطق بالمغلظ ويلزم من
ذلك ان تتوزع عليها الدية الشرعية لكل حرف او تقسم الدية الشرعية
للحروف كلها على تسعة وثلاثين وترتقي الحروف الهجائية العربية
الى تسعة وثلاثين هذا ما اردت جمعه وتاليفه من اصح مصادره
واتقن موارده واعتنيت فيه جهات مواضيعه باوسع ما يكون من مبادئها الى غاياتها
والله هو الموفق حرره مؤلفه وانجز تاليفه في جمادى الثانية سنة ١٣٤٠
في النجف الاشرف



لسمير الجندي علي

يقول لنا هذا الكتاب صراحا عن الحق قولا ناصعا لن يفندا

دعوا كل صوت بعد صوتي فإنني أنا الصائت المجلي والآخر الصدى

١٣٤٧